

أثر التدخل الأجنبي في تعبئة الانقسامات الداخلية الإفريقية: أزمة دارفور
نموذجاً.

الملخص:

تعاني العديد من الدول الإفريقية من معضلة حقيقية من نتائج انعدام الاندماج الوطني، وبالرغم من أن هذه المشكلة لا تقتصر فقط على الدول الإفريقية وغيرها من الدول الموصوفة بالتخلف - حيث أنه تنتشر انتشاراً واسعاً في معظم دول العالم، بما في ذلك بعض الدول الموصوفة بالتقدم - فإن دراسات الاندماج الوطني في هذه الدول تستمد أهمية خاصة، سواء من ناحية اتساع نطاق انتشار مشكلات الاندماج الوطني فيها، أو من ناحية تعقد المشكلات وارتباطها بكثير من المشكلات الملحة الأخرى.

من جهة ثانية، يكاد يكون هناك شبه اتفاق بين الدارسين على أن الانقسام وعدم التجانس (الثقافي والاجتماعي والعنصري الخ)، لا يمثل في - حد ذاته - مشكلة، ولكن المشكلة تنشأ وتتجسد حينما يتم تعبئة (استثارة وتوظيف) عوامل الانقسام وعدم التجانس هذه، وهنا سرعان ما ندرك ما للمسألة من أبعاد متشابكة تتعلق في جانب منها بإحدى مشكلات بناء الدولة عموماً، كما تعبر عن إحدى مشاكل العلاقات الدولية؛ ألا وهي مشكلة التدخل الدولي وما يرتبط بمفهوم السيادة الوطنية للدول.

و من هنا يأتي الحديث عن واحدة من أهم الدول الإفريقية والعربية كذلك، ألا وهو السودان ومحاولات الأطراف الخارجية الإقليمية منها والدولية، التي تعبر في معظمها عن محاولات لإعادة صياغة وتشكيل المنطقتين العربية والإفريقية، بما يخدم مصالح وأهداف هذه الأطراف، مستغلين المعطيات الداخلية وأزمات تعدد الولاءات الفرعية وغياب الاندماج الوطني وكل تفاصيله ذات الصلة.

L'Impact de l'intervention étrangère et la mobilisation des divisions internes africaines :le cas de la crise du Darfour.

Résumé :

Beaucoup de pays africains souffrent d'un véritable dilemme des conséquences du manque d'intégration nationale: bien que ce problème ne se limite pas aux pays africains et aux autres pays décrits comme sous-développement, il est répandu dans la plupart des pays du monde. Y compris quelques pays décrits en cours - les études nationales d'intégration dans ces pays sont particulièrement importantes, tant en termes de propagation des problèmes d'intégration nationale, en termes de complexité des problèmes et de leur association avec de nombreux autres problèmes urgents.

D'un autre côté, il y a presque un consensus parmi les chercheurs sur le fait que la division et l'hétérogénéité (culturelle, sociale, raciale, etc.) ne constituent pas un problème en soi, mais le problème se pose quand il est mobilisé, Ces facteurs de division et d'hétérogénéité, et là, nous réalisons rapidement les dimensions complexes de la question liée à l'un des problèmes de la construction de l'État en général, ainsi que l'un des problèmes des relations internationales: le problème de l'intervention internationale et la violation de la souveraineté nationale des états.

Le Soudan- l'un des pays africains et arabes - et le terrain idéal pour ces tentatives des parties extérieures, régionales et internationales, qui reflètent principalement les tentatives de redéfinir et de former la région arabe et africaine au service des intérêts et des objectifs de ces pays ; en profitant des données internes et des crises de loyautés multiples et l'absence d'intégration nationale et tous ses détails pertinents.

مقدمة

تعتبر التعددية بمفهومها الواسع ظاهرة طبيعية، حيث لا يكاد يوجد مجتمع من المجتمعات البشرية يخلو من هذه الظاهرة، لذلك عرفت المجتمعات الإفريقية كغيرها من المجتمعات البشرية ظاهرة التعددية بأشكالها المتباينة وصورها المختلفة " إثنية - دينية - ثقافية - لغوية - اقتصادية ... إلخ".

و التعددية هذه قد تكون مصدرا لثراء المجتمع وقوته، كما قد تكون مصدرا من مصادر عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي فيه، ومن ثم فالتعددية لا تمثل مشكلة في حد ذاتها وإنما تصبح مشكلة حينما تعجز الأنظمة السياسية عن إدارتها والتعامل معها كما هو الحال في معظم الدول الإفريقية من جهة، ومن جهة ثانية، يكاد يكون هناك شبه اتفاق بين الدارسين على أن الانقسام وعدم التجانس (الثقافي والاجتماعي والعنصري الخ)، لا يمثل في - حد ذاته - مشكلة، ولكن المشكلة تنشأ وتتجسد حينما يتم تعبئة (استثارة وتوظيف) عوامل الانقسام وعدم التجانس هذه.

وتتعدد لغة الدارسين في التعبير عن هذه الحقيقة، فحسب بعض الدراسات فإن منشأ المشكلة يأتي من استثارة وتوظيف ولاء وانتماء الافراد والجماعات داخل الدولة - عرقية وغيرها - وتفضيل هذا الانتماء والولاء والانتماء الوطني.¹

في هذه الدراسة، سوف نسلط الضوء بالتحليل والنقاش، ما أمكن من أجل استجلاء بعض الحقائق الكامنة وراء الإشكالية التالية: أية أهمية تكتسيها العوامل الخارجية في تكريس الانقسامات الداخلية للدول؟ و للإقتراب من اجابات لهذا الاشكال سوف تعتمد على استجلاء الحقائق المحيطة باستفهامات ذات صلة، ومنها:

- ما لمقصود بالاندماج الوطني؟

أما التساؤل الآخر فيدور حول دور العوامل الخارجية والداخلية في عملية
التعبئة هذه ؟

ثم : هل كان للأطراف الخارجية دور ما في تكريس الأزمات السودانية
وتحيدا في إقليم دارفور؟ من هي؟ وكيف؟

أولا: مفهوم الاندماج الوطني:

بوجه عام هناك عدة اتجاهات في تعريف مفهوم الاندماج الوطني، فمنها
من يؤكد على أن الاندماج الوطني يعني تحقيق التجانس الثقافي والاجتماعي بين
جماعات الدولة، وكمثال لهذا الاتجاه تعريف جيمس كولمان (James
Coleman) و كارل روزبيرج (Carl Rosberg) للاندماج الوطني بأنه ذو
بعدين : رأسي بمعنى تضيق الفجوة بين النخبة والجمهير، وأفقي ويشير الى
التقليل المستمر للتوترات والانقسامات الإقليمية والثقافية... " ذلك خلال عملية
خلق جماعة سياسية إقليمية متجانسة"ⁱⁱ.

كما نجد كارل دويتش (Karl W. Deutsch) يؤكد في هذا الشأن
على أن الاندماج الوطني، هو عبارة عن عملية تنمية الشعور بالولاء الوطني، أو
الهوية الواحدة التي تنصهر في إطارها الولاءات الفرعية الأخرى، بمعنى آخر :
هي عملية نقل الوعي والولاء الخاص بالأفراد، من بؤرة التركيز على الجوانب
الذاتية المتعلقة بمجتمعاتهم المحلية، الى بؤرة أوسع نطاقا تتعلق بالمجتمع الكلي"ⁱⁱⁱ.

و بحسب هذا التعريف، تبدو مشكلة الاندماج الوطني من أخطر التحديات
التي تواجه عملية بناء الدولة القومية في افريقيا، كما أنها طرحت إشكالية كبرى
أمام عملية تأسيس نظام سياسي افريقي مستقر في مرحلة ما بعد الاستقلال،
وتعبير عن عجز النظام السياسي وفشله في التعامل مع التعدد والتنوع (الاثني -
الديني - اللغوي... إلخ)، الموجود في المجتمع سواء بالإغراء أو بالإكراه، وهو ما

يخلق لدى الجماعات المختلفة حالة من عدم الرغبة في العيش المشترك، ومن ثم تتفاقم حدة الصراع بين الجماعات المختلفة المشكلة للمجتمع من جهة، ومن جهة أخرى، بين هذه الجماعات والنظام السياسي على نحو يحول دون خلق ولاء وطني قوي يساعد على تعزيز التماسك الوطني وبناء الدولة القومية.

كما يوجد اتجاه آخر يؤكد على أن الاندماج الوطني يعني بالأساس تحقيق التجانس المعنوي بين جماعات الدولة من حيث وحدة الانتماء والولاء، وكمثال لهذا الاتجاه تعريف مايرون فاينر (Myron Weiner) للاندماج الوطني بأنه يشير الى " عملية ضم الجماعات المتباينة ثقافيا واجتماعيا في وحدة إقليمية واحدة مع تكوين هوية وطنية، (بمعنى آخر) فالاندماج الوطني يشير بالتحديد الى : " عملية خلق شعور بالانتماء للإقليم الوطني بحيث يغطي هذا الشعور أو يلغي الانتماءات الأخرى"^{iv}.

ثانيا- تفسير عملية التعبئة :

من خلال تتبع الكتابات في هذا الشأن، وجد أن هناك تفسيرات عديدة لعملية تعبئة (تنشيط وتوظيف) الانقسامات بين الجماعات داخل الدولة . فبعض التفسيرات يرجع هذه العملية الى متغيرات اقتصادية، كالتنافس بين الجماعات على المنافع الاقتصادية النادرة، وسعي كل جماعة للسيطرة على الجماعات الأخرى بأسلحة اقتصادية، والشكوى من الحرمان النسبي حيث تكون إحدى الجماعات أو بعضها أكبر حرمانا من غيرها، وكذلك ما يسميه بعض الكتاب " بالاستعمار الداخلي " حيث تخضع إحدى الجماعات - الإقليمية أو غيرها - للاستغلال والتبعية والسيطرة الاقتصادية من جانب جماعة أخرى في الدولة، بحيث تصبح الجماعة الخاضعة وكأنها " مستعمرة داخلية"^v.

ويرتبط بهذا التفسير الاقتصادي . وإن كان بمعنى أوسع . تفسيرات أخرى تعزو عملية تعبئة الانقسامات الى "خوف" الجماعات من الخضوع لسيطرة جماعة أخرى تشاركها نفس الدولة، (مثلا خوف الجماعة المسيطرة من فقدان وضعها بسبب مطالبة الجماعات بإعادة ترتيب النظام السياسي أو الاقتصادي..)^{vi}.

وسواء كان الأمر يتعلق بالتنافس على المنافع السياسية والاقتصادية وغيرها أو كان يتعلق بالخوف من الخضوع للسيطرة، أو تذبذب المكانة، أو كان يتعلق بوجود عقبة في سبيل تحقيق "أهداف التطلعات"، فإنه في جميع هذه الحالات هناك عوامل خارجية وداخلية تلعب دورها في زيادة حدة هذا التنافس وذلك الخوف، فما هو دور تلك العوامل؟

ثالثا: دور العوامل الخارجية في تعبئة وتكريس الانقسامات الداخلية الإفريقية.

بالنظر إلى الأوضاع في الدول الإفريقية، فإنه يقصد بالعوامل الخارجية هنا العامل الاستعماري الذي لعب دوره - من خلال قنوات عديدة - في تكريس وتنشيط الانقسامات بين الجماعات داخل تلك الكيانات التي كونها الاستعمار، وأصبحت دولا مستقلة فيما بعد،

فمن جهة جاء تخطيط حدود الدول الإفريقية الحالية - بما فيها نيجيريا والسودان - نتيجة اعتبارات تاريخية تتعلق بالتنافس بين القوى الاستعمارية الأوروبية - خلال القرن الماضي - للسيطرة على القارة الإفريقية، ومن ثم فإن هذه الحدود في معظمها قد جاءت غير مرتبطة بالاعتبارات الطبيعية أو البشرية لهذه الكيانات الجديدة ونشأ عن ذلك مشكلات عديدة، سواء داخل تلك الكيانات الجديدة أو بين بعضها البعض.

ويرى (Aristide Zolberg)^{vii} فقد أسهمت السياسات والممارسات الاستعمارية، في خلق المخاوف المتبادلة بين تلك الجماعات داخل تلك الكيانات الجديدة، وذلك من خلال خلق " تفاوت " بين هذه الجماعات من حيث أوضاعها السياسية والاقتصادية والثقافية.

والملاحظ الى حد تركيز هذه التعاريف على العمل الخارجي لمرحلة الاستعمار الغربي للقارة الافريقية وما انجر عنه من تنامي الفجوة الاجتماعية والهوة السياسية في فترة بناء وتشكل الدولة الافريقية.

إن ظاهرة التدخل عموما والتدخل الإنساني ليست جديدة في العلاقات الدولية ولكنها أصبحت بارزة ومميزة بصورة كبيرة بعد انتهاء الحرب الباردة وبروز النظام الدولي الجديد الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية، إذ نتج عن سقوط المنظومة الاشتراكية نفثي الصراعات الداخلية في الكثير من الدول، مما أدى إلى انتشار العديد من المظالم والحروب والصراعات الداخلية والإقليمية وخاصة ما يتعلق بالعرقيات ففرض هذا على الدول والمنظمات الدولية مبرر التدخل لحماية هذه الأقليات تحت مسوغات حماية حقوق الإنسان وحماية الأقليات وتقديم المساعدة الإنسانية، مما ساعد على ذلك سعي الدول الرأسمالية وخصوصا الولايات المتحدة إلى نشر القيم الغربية والفلسفة الرأسمالية المتمثلة في الليبرالية والديمقراطية وآليات اقتصاد السوق وخصوصا في الدول الناشئة والمتحولة.

كما تجدر الإشارة إلى أن التدخل الإنساني يشتمل على المساعدة الإنسانية والتدخل العسكري بشقيه السلمي والعنيف، ويتم ذلك في الغالب تحت غطاء قانوني من الأمم المتحدة رغم أنه يتعارض في بعض جوانبه مع مفاهيم ثابتة في القانون الدولي والعلاقات الدولية مثل مفهوم السيادة وعدم التدخل في شؤون الدول المستقلة المنصوص عليها في القانون الدولي، بالإضافة إلى أن المؤشرات - منذ

نهاية الحرب الباردة - تشير إلى أن دول العالم الثالث عموما كانت ميدان تدخلات المنظمة الدولية والدول الكبرى لحسم الصراعات الداخلية، فماذا عن التجربة السودانية والامتحان الصعب الذي تتعرض له الدولة السودانية هذه المرة في أحد أهم أقاليمها ألا وهو إقليم دارفور؟

المحور الثاني: أثر التعبئة الخارجية في أزمة دارفور.

أولا: طبيعة الازمة في دارفور:

شهد إقليم دارفور غرب السودان (المتعدد العرقيات) الزغاوة، المساليت، الزريقات، الفور... مأساة حقيقية منذ اندلاع النزاع سنة 2003 بين القوات الحكومية والحركات المتمردة وأهمها:

➤ جيش تحرير السودان Sudan Liberation Movement/Army

”SLM/A”

➤ حركة العدل والمساواة Justice and Equality Movement

”JEM”

➤ ميليشيا الجنجويد.

➤ التحالف الفيدرالي.

ونتيجة للصراع الدامي بين هؤلاء الفاعلين، سادت حالة من الفوضى خاصة بعد ما لجأت الحكومة في الخرطوم إلى تسليح ميليشيات تابعة لها (الجنجويد) مما أعطى مبررا للتدخل الأجنبي في شؤون السودان ككل وأصبحت القضية تلقى اهتماما بالغا من طرف الهيئات الدولية: كالأمم (المتحدة والولايات المتحدة والإتحاد الأوروبي).

وبالرجوع إلى طبيعة النزاع في دارفور فهو نزاع عرقي قبلي أخذ أبعادا سياسية من خلال تمرد مسلح ضد السلطة المركزية . خاصة بعد تدخل " الجنجويد " واتهامها بارتكاب عمليات إبادة جماعية أدت إلى مقتل الآلاف من الأشخاص ونزوح نحو مليون مواطن . ويمكن تلخيص أسباب أزمة دارفور فيمايلي:

ثانيا: أسباب الأزمة في دارفور

1- الاسباب الاجتماعية-الاقتصادية:

- **التهميش وغياب التنمية:** بحيث أعطت الحكومة السودانية الأولوية لمبدأ حفظ الأمن في دارفور، كما سبق للحكومات المتعاقبة على حكم السودان مع مطالب الاقليم بكثير من التبسيط، مما أفضى الى تعقد الازمات في هذا الاقليم، الى أن وصل الأمر الى مهاجمة المدن، والمطالبة بالانفصال^{viii}.
- **الصراع القبلي:** وقد ادت عوامل مختلفة الى زيادة الاحتكاك بين القبائل الزراعية والرعية في دارفور، خاصة التصحر والجفاف وقلة الموارد مما عزز من عامل الخوف لدى القبائل التي لجأت الى التصادم وسرعان ما أخذ طابعا قريبا.
- **تكريس النزعات القبلية:** فقد تراكم احساس لدى العقل العروبي البدوي بأنه غير مرغوب فيه ومطلوب منه أن يخرج من دارفور، بينما تراكم لدى مجموعة القبائل غير العربية (الزرقة) اعتقادا موازيا، وأن هناك خطة مدبرة لاستئصاله^{ix}.
- **الغاء الادارة الأهلية:** هذه الادارة التي كان يديرها رجال يتمتعون بسلطات واسعة متمرسون عليها، قامت حكومة نميري بحلها.^x

2- : الأسباب السياسية:

- التهميش والاستقطاب السياسي:

والمعروف تاريخيا ذلك الثقل والوزن السياسي الكبير الذي يتمتع به إقليم دارفور، المشكلة هي أنه بعد الاستقلال تم التعامل مع هذا الإقليم كتابع وبكثير من الخوف والحذر والتهميش من قبل الشماليين، والتعامل مع دارفور على اعتباره مركزا للمعارضة، وبالتالي تم التعامل معه باعتباره ملفا أمنيا بامتياز^{xi}.

3: الأسباب الأمنية: ومن أبرز معطياته.

- ✓ تشابك الحدودو انشار السلاح
- ✓ سهولة الانتقال على جانبي الحدود من دولة الى أخرى
- ✓ تشابك القبائل بين دولة واخرى.
- ✓ قيام ليبيا بتسليح القبائل العربية في أواخر السبعينات للإستقواء بها في حربها مع تشاد حول شريط "أوزو" الحدودي.
- ✓ تفكك جيش جمهورية افريقيا الوسطى، ودخول معظمه الى دارفور حيث كانت غالبيته من قبائل سودانية.
- ✓ حرب الجنوب ودخول كميات كبيرة من السلاح، وتزويد الحكومة السودانية ابتداءا من 1985 للقبائل العربية، لوقف الاعتداءات الذي كان ينفذه الجيش الشعبي لتحرير السودان .
- وبهذا الخصوص، فقد كان لجيش تحرير السودان دور هام في تأجيج وتسليح المعارضة في اقليم دارفور لالتقاء المصالح على قاعدة " عدو عدوي ؛ صديق'.

ثالثا: التعبئة الخارجية للأزمة في دارفور

مما لا شك فيه أن أزمة دارفور هي ذات طابع داخلي محلي، سرعان ما أخذت العوامل الخارجية موقع الريادة فيها، خاصة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والكيان الإسرائيلي... و سنحاول الاقتراب من فهم أهم الأدوار والتداعيات الإقليمية والدولية على تطورات ومسار هذه الأزمة.

1- المواقف الإقليمية من الأزمة في دارفور (موقف دول الجوار + الكيان

(الإسرائيلي)

- تشاد: حاول الرئيس التشادي " ادريس ديبي" التوسط بين أطراف الصراع من أجل الخروج من المأزق الذي كان يهدد سلطته: حيث أنه ينتمي الى قبيلة الزغاوة وهي أهم قاعدة شعبية له داخل تشاد (وهي من أهم أطراف الأزمة ضد الحكومة السودانية ممثلة في حركة تحرير السودان)، وفي نفس الوقت كانت الخرطوم قد ساعدته على الوصول إلى الحكم، وبالتالي فإن الانحياز إلى أحد الأطراف، كان يعتبر انتحارا سياسيا حقيقيا.

- ليبيا: يمكن الحديث عن الدور الليبي من زاويتين :

الأولى تتعلق بمخاوف النظام الليبي " على عهد معمر القذافي" من تطورات الصراع داخل دارفور والتواجد العسكري الدولي على حدوده مع السودان، والزاوية الثانية هي محاولاته الدؤوبة على منع الحركات المتمردة في دارفور واقناعها برفض دور المحكمة الجنائية الدولية وكل ما من شأنه تنشيط التدخل الغربي في دارفور^{xii}.

- مصر:

مما لاشك فيه أن مصر من أكثر الدول المهمة والمعنية بوحدة السودان، باعتبار الجوار وقضية الأمن المائي، وقد رفضت بوضوح الضغوطات الدولية على السودان وأبدت تعاطفا مع نظام الإنقاذ واتهم سفيرها في الخرطوم كل من أمريكا وبريطانيا باستغلال الأزمة في دارفور.

- إريتيريا:

الدور الإريتيري في الأزمة السودانية عموما ودارفور على وجه التحديد، يمكن أن يكون نموذجا لفهم مصطلح "الجوار السيئ"، وهذا تقرير مجموعة الأزمات الدولية، يشير إلى أنه منذ منتصف 2004، ظلت إريتيريا تقدم دعما سريا: جوازات سفر وكميات من الأسلحة والذخيرة لمتبردي دارفور^{xiii}.

- الدور الإسرائيلي:

أكد الرئيس السوداني عمر البشير في العديد من المناسبات على وجود مؤامرة تحاك ضد بلاده مدخلها الكيان الإسرائيلي، وقال البشير في ذلك " أن كل من يحمل السلاح ضد أي دولة يعتبر إرهابيا الا في السودان"^{xiv}، وبالنظر إلى طبيعة العلاقات العربية مع الكيان الإسرائيلي فقد صرح وزير دفاع الكيان الإسرائيلي الأسبق " آفي أختر" أن تدخل تل أبيب في دارفور حتمي وضروري حتى لا يجد السودان المناخ والوقت لتركيز جهوده باتجاه تعظيم قدراته لصالح الدول العربية^{xv}."

2 - أدوار القوى الكبرى في تعبئة حالة الانقسام الداخلي وتأجيج أزمة

دارفور*

- دور الولايات المتحدة الأمريكية:

إن الإدارة الأمريكية سارعت إلى إدانة ما يحدث في دارفور، باعتبارها كارثة إنسانية، وفي يونيو 2004 م أصدر الكونجرس قرارا يصف فيه أزمة دارفور بأنها إبادة جماعية، كما أن وزير الخارجية الأمريكي "كولن باول" قام بزيارة الإقليم، وأدان حكومة الخرطوم لعدم وفائها بتعهداتها الخاصة بنزع سلاح ميليشيات الجنجويد، ومحاكمة قادتها.

وتحركت الإدارة الأمريكية كذلك باتجاه استصدار قرار من مجلس الأمن، بغرض فرض عقوبات اقتصادية على السودان . وبالفعل أصدر مجلس الأمن قرارا في يوليو 2004 م أنذر فيه الحكومة السودانية باتخاذ تدابير معينة بموجب المادة (41) من الفصل السابع لميثاق الأمم المتحدة، إذا لم تسارع الخرطوم في غضون ثلاثين يوما بنزع سلاح الجنجويد، وتحسين أوضاع اللاجئين والمشردين، لكن ماهي دوافع توقيت الحملة الأمريكية تجاه أزمة دارفور؟

وهنا تكمن القصة " غير المحتشمة" على حد وصف " William Engdahl" لموقف الولايات المتحدة الأمريكية، وهي التي لم تهتم للتطهير العرقي في العراق- وهي المسؤولة عنه بعد عملية الغز-، لأن في العراق توجد أهم الاحتياطات النفطية، فماذا يوجد في دارفور حتى يستدعي هذه المواقف الأمريكية العدائية؟؟ إنه نفس القصة: السيطرة على مزيد من النفط، كثير من النفط.^{xvi} ومادام الأمر يتعلق بالنفط فإن الحديث يعني ضرورة القضاء وإبعاد جميع المنافسين خاصة فرنسا والصين واستباقهم إلى هناك.

الى جانب عامل النفط واعتبارات المنافسة الدولية على الثروات فإن الاعتبار المشترك الذي يعني جميع الأطراف بما فيها الإقليمية ودول الجوار، هو تفنيت وتجزئة السودان وذلك من خلال الضغط عليه باستمرار حتى يتحقق انفصال الجنوب عن الدولة السودانية، تجزئة وواقع جيوبوليتيكي يعطي للسودان

حجما آخر غير قادر على فرض نفسه لا في المنظومة الإفريقية ولا في المنظومة الدفاعية العربية.

- الدور الفرنسي في أزمة دارفور: ينظر الفرنسيون الى دارفور من

زاويتين

1- ضرورة ابعاد كل تواجد دولي خاصة أمريكي في منطقة حيوية بالنسبة للتواجد التاريخي في المنطقة وذلك للتماس الجغرافي بين تشاد والسودان.

2- من جانب آخر يهتما كثيرا استعمال شماعة الدواعي الإنسانية للضغط على الحكومة السودانية من أجل التقرب من إحكام سيطرتها في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية والتهديد المتأتي من الصينيين.

عمليا لما لوحث الولايات المتحدة الامريكية بالتدخل العسكري في إقليم دارفور، أنزلت فرنسا بعضا من قواتها على الحدود ما بين تشاد والسودان بحجة حماية قوافل إغاثة النازحين.^{xvii}

كما قامت فرنسا بتقديم مشروع قرار إلى مجلس الأمن والذي تضمن إحالة مرتكبي جرائم حرب وأعمال العنف في دارفور إلى المحكمة الجنائية الدولية.^{xviii}

- المواقف داخل الاتحاد الأوروبي:

هي مجموعة مواقف ولا تعكس موقفا موحدًا لاعتبارات جوسياسية لها علاقة مع مفهوم السيطرة التاريخية، فمن مجموع قوات الاتحاد الاوروبي في قوات EUFOR المقترحة وهي 4300، قدمت فرنسا 2100 جندي تضاف لقوات لها متواجدة أصلا في تشاد وفي جمهورية افريقيا الوسطى.^{xix}

3: دور المنظمات الإقليمية والدولية في أزمة دارفور:

- دور الإتحاد الإفريقي:

لقد أدى الإتحاد الإفريقي دورا كبيرا في أزمات السودان الداخلية خاصة أزمة دارفور ولا نغالي في القول إذا قلنا أنه دور أكبر مما يستحق هذا الإتحاد فقد اعتمدت عليه الأمم المتحدة في التنسيق بينها وبين حكومة السودان والمتمردين، كما تكفل الإتحاد الإفريقي بشؤون الأزمة في دارفور حتى نسي الكثير جامعة الدول العربية في غمار الأحداث وتداعياتها. ففي كافة قرارات مجلس الأمن اعتمد على الإتحاد الإفريقي دون جامعة الدول العربية، ويعتقد أن ذلك مقصود وتمهيد لفصل السودان على العروبة والإسلام، حتى يوهم العالم أن المشكلة إفريقية، أي أنها ليست إسلامية ومن الغريب أن

الدول الإسلامية والعربية قد ساعدتهم على ذلك، فقد اشتركت قوات عربية ضمن قوات حفظ السلام الإفريقية وليست العربية.^{xx}

- دور جامعة الدول العربية:

تدخلت الجامعة العربية وفقا لأهدافها الواردة في المادة (2) من ميثاقها والتي تسعى إلى تعزيز استقلال الدول الأعضاء والمحافظة على سيادتها، وبناء على طلب من حكومة السودان عن طريق مندوبها في الجامعة الذي طلب منها التدخل في أزمة دارفور.

وتنتقد الجامعة العربية على إدارتها وكمستوى التعامل مع أزمة دارفور وهي أزمة دولة عربية بل واحدة من أهم الدول العربية، بل وفي سابقة حيرت الحكومة السودانية، وذلك على اثر التعليق الصحفي الصادر عن سكرتارية الجامعة في نهاية شهر مايو 2004، جاء فيه: " أن خروقا لحقوق الإنسان قد وقعت كجزء من الصراعات بين جزء من القبائل في بيئة غابت عنها الإجراءات

الأمنية، ورأت أنه من الضروري إرسال لجنة لتقصي الحقائق، وأن تعتمد الحكومة السودانية إلى اعتماد جملة من الوسائل ل لمنع هذه الخروق."

لكن من الإنصاف الحديث عن دعم وحماية دبلوماسية واسعة لصالح السودان ولصالح الحكومة السودانية في المحافل الدولية ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: تعاطف الجامعة العربية على اثر القرار الأممي رقم 1556 حيث قال مندوب الجامعة في الأمم المتحدة " يحي المحمصاني " " أن إصدار قرار يهدد بفرض عقوبات على السودان يعكس ازدواجية المعايير لدى بعض الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن إزاء قضايا المنطقة، وقال انه كان يفترض على المجلس أن ينظر في تقديم مساعدات إنسانية بدلا عن ذلك^{xxi}. كما أكدت الجامعة العربية على أن الأمر يتطلب إمهال الحكومة السودانية المدة اللازمة لترتيب الأوضاع، وأنه ليس من الحكمة أن يمطر السودان بالإنذارات الدولية والتلويح بالإجراءات العقابية ن الاقتصادية والعسكرية، فالوسائل السلمية لم تستنفذ بعد، وعلى الرغم من المصاعب الإنسانية التي تصيب الإقليم، فليس في الأمر ما يرقى إلى الإبادة الجماعية التي تستوجب التدخل الدولي أو فرض العقوبات على السودان^{xxii}.

- دور منظمة الأمم المتحدة:

لم تتدخل الأمم المتحدة في أزمة من الأزمات مثلما تدخلت في السودان خاصة أزمة دارفور، لقد اصدر مجلس الأمن العديد من القرارات وأصدر الأمين العام أيضا الكثير من التقارير التي ساهمت في تدويل أزمة دارفور، حيث اصدر مجلس الأمن ثلاثة قرارات تتعلق بدارفور خلال أسبوع واحد، وهي :

• القرار رقم (1590) بتاريخ 14 مارس 2004 إنشاء نشاء بعثة الامم

المتحدة في السودان لضما اتفاقية سلام الجنوب.

• القرار رقم (1591) بتاريخ 29 مارس 2004 لمعاقبة تعديات الاطراف في دارفور .

• القرار رقم (1593) بتاريخ 31 مارس 2004، لإحالة مرتكبي جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية في دارفور للمحكمة الجنائية الدولية. وعلى أية حال، فإن كافة قرارات مجلس الأمن ذات الصلة، عكست حرص الداعين إلى إقرارها على تدويل مشكلة دارفور من خلال التأكيد الدائم على اعتبار أن الوضع في الإقليم يشكل تهديدا للسلم والأمن الدوليين.

- المحكمة الجنائية الدواية

أصدرت المحكمة الجنائية الدولية مذكرة اعتقال الرئيس السوداني عمر حسن البشير فيما اعتبرت رسالة في اتجاهات مختلفة محلية و إقليمية ودولية، حيث أكدت المذكرة التي أصدرتها المحكمة بتاريخ 04 مارس 2009، اخفاق الخرطوم في قراءة كثير من المعطيات الإنسانية والتطورات السياسية التي لاحت في الأفق منذ اندلاع الأزمة منذ 2003.

و قد رفضت الخرطوم تدخل المحكمة الجنائية الدولية القاضي باحالة شخصيات بارزة في النظام السوداني على المحكمة للتحقيق بتهم تتعلق بجرائم الحرب والجرائم ضد الانسانية، واعتبرته الخرطوم ابتزازا من قبل بعض القوى الدولية، لتحقيق مآرب سياسية واقتصادية وأمنية، وفي يوليو من العام 2008 طلب " أوكامبو " من الدائرة التمهيديّة الأولى بالمحكمة إصدار أمر اعتقال في حق الرئيس السوداني عمر البشير .

الخاتمة

تعتبر أزمة دارفو في الغرب من الدولة السودانية إحدى السمات البارزة في أزمة الدولة الإفريقية بشكل عام ومدى المازق الذي تتخبط فيه عملية وقوف الدولة السودانية على أسس ثابتة قوية ودائمة بما يجعلها بمنأى عن التهديدات الخارجية الإقليمية والدولية.

لقد وجدت الحركات المناوئة للحكومة السودانية كل العوامل المساعدة على الوقوف في وجه الحكومة والسلطة (الشرعية) للتعبير عن مطالبها المؤجلة بناء على جملة من النقائص الفاضحة في الحياة الفكرية الثقافية والمعنوية للمكونات السكانية السودانية، وفي دارفور على وجه التحديد، وقد استعانت هذه القوى والحركات التي اتخذت من العسكرة ولغة السلاح وسيلة للمطالبة بإصلاحات هي في كثير من الأحيان مطالب جادة، لكن دخول القوى الإقليمية والدولية على خط المواجهة وتحطيم بناء وكيان وإعادة رسم خارطة السودان، وجد المنفذ السالك لتحقيق مصالحه المتمثلة في إضعاف الدولة السودانية، من خلال الاستثمار في غياب الاندماج الاجتماعي والسياسي، وغياب الانسجام الوطني بين مكونات المجتمع السوداني، والذي أخذ أشكالاً مختلفة في التعبير عن حدة المأزق الذي وصلت إليه عملية بناء الدولة الوطنية.

لقد كانت كثيرة محاولات إيجاد حلول من مختلف القوى الإقليمية والدولية من منظمات وهيئات دولية وقوى دولية بارزة على ساحة السياسة الدولية، ولكم كانت معبرة ومؤثرة جدا ولكن في الاتجاه الذي يعزز مخاوف كثير من الدول، التي لا تزال تحترم وتضع أهمية كبيرة لمسألة السيادة الدولية.

كثيرة هي كذلك التدخلات الدولية، في الشأن الداخلي للدولة السودانية ذات السيادة باسم التدخل الإنساني، وحقوق الإنسان، ويبدو بكل تأكيد أهمية الأخطار

المحدقة بالدول جراء استخدامات بعض الدول الكبرى لهذا المبرر من أجل تحقيق المزيد من المكاسب: ولعل اكبر مكسب حققته التدخلات الدولية على خلفية أزمة دارفور، هو بكل تأكيد تحقيق انفصال جنوب السودان وتقسيم السودان والدليل على ذلك أن الزخم الذي كنا نشهده أو الذي شهدته أزمة دارفور قد تراجع الى مستوياته الدنيا، لأن المشروع قد اكتمل في شطره الأكبر، ألا وهو مشروع التقسيم، لكن الأزمة لا تزال حبلى بالمزيد من المخاطر على ما تبقى من دولة السودان، وإذا بقي الحال الداخلي على ما هو عليه، فالسؤال عن المآل لا يغني ولا يجدي كثيرا.

قائمة المصادر والمراجع :

1_ الكتب:

- 1- صبحي علي محمد فنصوة، مشكلة الاندماج الوطني في نيجيريا، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم النظم السياسية والاقتصادية، جامعة القاهرة، 1989.
- 2- محمود عابدين صالح، الصراع على السلطة في السودان، ط1، القاهرة، دار الأمين للطباعة، 2000.
- 3- ممدوح شوقي مصطفى كامل، الأمن القومي الجماعي الدولي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1985.
- 4- زكي البحيري، مشكلة دارفور، الجذور التاريخية، الأبعاد الاجتماعية، التطورات السياسية، القاهرة، عربية للطباعة والنشر، 2006.
- 5- صلاح الدين عبد الرحمن الدومة، أثر مشكلة دارفور على سياسة السودان الخارجية، ط1، الخرطوم، الطابع جي تاون، 2006.

2_ تقارير:

1- تقرير مجموعة الأزمات الدولية، توحيد متمردي دارفور: شرط أساسي للسلام " تقرير افريقيا، رقم 32، نيروبي ابركسل، 06 أكتوبر 2006، على الموقع الالكتروني:

http://www.crisisgroup.org/library/documents/africa/horn_of_africa/b032_unifying_darfur_s_rebels_a_prerequisite_for_peace_arabic.pdf

3_ المقالات بالعربية:

1-صلاح جلال، حريق في دار الأمة، ص 3، على الموقع الالكتروني:
http://www.sudaneso,line.com/cgi_bin/sdb.cgi?seq=msg&board=261&msg=118834298

2-نورا عبد القادر حسن، التمرد المسلح في دارفور: ساحة جديدة للقتال في السودان،
مجلة السياسة الدولية، العدد 153، يوليو 2003، المجلد 37.

3-أوضاع إنسانية متدهورة بدارفور، مقال منشور على الموقع الالكتروني:
http://www.arabic_military.gov/montada_fg/topic.tt1008.htm/2009/12/05

مراجع باللغة الأجنبية:

- 1- Antony D . Smith , The Ethnic Revival , (Cambridge : Cambridge Univ. Press1981.
- 2- Davi R . Smoock and Kwamena Bentsi - Enchill , The search For National Integration in Africa ,(New York : The Free Press) 1976
- 3- Karl W. Deutsch, “ Nation- Building and National Development , Some Issues For Political Research” , in Karl W .Deutsch and William J. Folts, Nation Building , (New York: Atherton , Press,1963)
- 4- James Her Skovits , “ One Negeria “ . in Foreing affairs ,Vol , 51 , No . 2 , January 1973.
- 5- Roland Marchal, Tchad / Darfour ,vers un système de conflits, Politique Africaine, N°102,Kartala, sur le site internet :
www.politique-africaine.com/numeros/PDF/conjonctures/95125.pdf
- 6- William Enghdal .F, Le Darfour ? une guerre de pétrole , disponible sur le site internet :
http://centrefinfo.info/article.php?id_article=1043

7- Leon Koungou , L'union européenne s'engage à reculer , dans : le monde diplomatique, sur le site : http://www.monde_diplomatique.fr

الهوامش

ⁱ -Davi R . Smoock and Kwamena Bentsi - Enchill , The search For National Integration in Africa ,(New York : The Free Press) 1976 , Pp . 3 – 6 .

ⁱⁱ - صبحي علي محمد قنصوة ، الاندماج الوطني في نيجيريا ، رسالة ماجستير غير منشورة
مقدمة لمعهد البحوث و الدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، 1989 ، ص 9 .

ⁱⁱⁱ- Karl W. Deutsch, “ Nation- Building and National Development , Some Issues For Political Research” , in Karl W .Deutsch and William J. Folts, Nation Building , (New York: Atherton , Press,1963) P.8

^{iv} - أشار اليه : صبحي علي محمد قنصوة ، مرجع سابق الذكر ، ص 10 .

^v - Antony D . Smith , The Ethnic Revival , (Cambridge : Cambridge Univ. Press) 1981 . Pp. 27-37

^{vi} James Her Skovits , “ One Negeria “ . in Foreing affairs ,Vol , 51 , No . 2 , January 1973 , Pp . 392 -300 .

^{vii} - اشار اليه: صبحي علي محمد قنصوة، مرجع سابق ، ص 30 .

^{viii}- نورا عبد القادر حسن، التمرد المسلح في دارفور: ساحة جديدة للقتال في السودان، مجلة السياسة الدولية، العدد 153، يوليو 2003، المجلد 37، ص 167 .

^{ix} - زكي البحيري، مشكلة دارفور، الجذور التاريخية، الأبعاد الاجتماعية، التطورات السياسية ، القاهرة، عربية للطباعة و النشر، 2006، ص 93 .

^x - محمود عابدين صالح، الصراع على السلطة في السودان، ط1، القاهرة، دار الأمين للطباعة ، 2000، ص 78 .

^{xi} - صلاح جلال ، حريق في دار الأمة، ص 3 ، على الموقع الالكتروني:

httpm://www.sudaneso,line.com/cgi_bin/sdb.cgi?seq=msg&board=261&msg=1188342
985

^{xii}- لمزيد من الفهم للدور الليبي في كل من تشاد و علاقته بدارفور و بالتالي التخوف الليبي الشديد من القوات الاجنبية ، يرجى النظر في:

- Roland Marchal, Tchad / Darfour , vers un système de conflits, Politique Africaine, N° 102, Kartala, sur le site internet : www.politique-africaine.com/numeros/PDF/conjonctures/95125.pdf.

^{xiii} - تقرير مجموعة الأزمات الدولية، رقم 22

^{xiv} - أوضاع إنسانية متدهورة بدارفور، مقال منشور على الموقع

الالكتروني: httpM//www.arabic_military.gov/montada_fg/topic.tt1008.htm/2009/12/05

^{xv} - نفس المرجع السابق.

* - كما هو واضح و منذ البداية و نظرا للأثر القوي لجملة التدخلات الخارجية في مسار أزمة دارفور، فإن الحديث عن " موقف أو مواقف" يعتبر بعيد عن التوصيف الحقيقي لطبيعة الأدوار الخارجية، و علي فإن الباحث يرى بأنها أدوار و ليست مجرد مواقف.

^{xvi} -William Enghdal .F, Le Darfour ? une guerre de pétrole , disponible sur le site internet :

http://centreinfo.info/article.php3?id_article=1043

^{xvii} - زكي البحيري، مرجع سابق الذكر ص 250.

^{xviii} - و هو القرار رقم 1593 الذي صدر و تم التصويت عليه في 31 مارس 2005 بموافقة

11 عضوا و امتناع أربعة (04) أعضاء عن التصويت و هم الصين و الولايات المتحدة و الجزائر و البرازيل.. و هنا يأتي الامتناع الامريكي ليدلل على تقاسم الأدوار الذي تلعبه القوى الدولية الكبرى كما يشير الى المعارضة الامريكية - الفرنسية المتبادلة فيما يخص المسائل الدولية بما يتيح لكل دولة مزيدا من المزايدات و الضغوطات لكسر نفوذ احدهما.

^{xix} - لمزيد من الفهم و الاطلاع يرجى الرجوع الى Leon Koungou , L'union européenne s'engage à reculons , dans : le monde diplomatique, sur le site : http://www.monde_diplomatique.fr

^{xx} - ممدوح شوقي مصطفى كامل ، الأمن القومي الجماعي الدولي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1985 ، ص 32.

^{xxi} - زكي البحيري، مرجع سابق الذكر ، ص 200.

^{xxii} - صلاح الدين عبد الرحمن الدومة، أثر مشكلة دارفور على سياسة السودان الخارجية، ط1، الخرطوم، الطابع جي تاون، 2006، ص 122.